دور الهوية الإفتراضية للمتلقي في التغير السياسي
عبر مواقع التواصل الإجتماعي

خالدي سعاد
جامعـــة طاهري محمد بشار

الملخص:

شهد الوضع العربي في الآونة الاخيرة تطورات ومنعرجات حاسمة على الصعيد السياسي، فأرجأها أغلب الدارسين إلى تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، إلا أن فريقا آخر راح يدس الوسائل التي ساعدت الشعب على تحقيق الثورة فلم يجد خيرا من وسائل التواصل الاجتماعي وفي مقدمتها الفيس بوك كونه من أقوى المواقع استخداما.

و من هذه الفرضيتين انطلقت دراستنا في محاولة معرفة مدى تأثير الأوضاع المتردية في الوطن العربي ونسبة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي خصوصا الفيس بوك على الهوية، والدور الذي لعبته الهوية الافتراضية في الحراك السياسي، غير أننا لم نكتفي بهذا فقط بل حاولنا من خلال دراستنا أيضا أن نبحث عمن يحرك الهوية الافتراضية وما هي الأسس المنشئة لها.

الكلمات المفتاحية: التلقي، الجمهور، شبكات التواصل الاجتماعي، الفيس بوك، الربيع العربي، التغير الاجتماعي، الوعي السياسي، الهوية، النظام العالمي الجديد.

Abstract:

Last few years the Arabic world has seen lots of changes at the political sphere. As a social phenomenon some tried to find the reasons, others were interested in finding the tools that helped people to make the revolution against the system come true.

In this study we tried to know how badly the situation in the Arabic world was at all spheres such as political, economic, social, cultural and others, and their Impact by using social media as a tool on the identity. Our study tries also to find the role of virtual identity and the reason behind its creation and manipulation towardsthe Arabic revolutions.

Keywords: Pubic, Social media, Facebook, Social change, Identity, New World System.

المقدمة:

إن التطور التاريخي لوسائل الإعلام مر بعدة مراحل تزامنت كلها مع تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال، ففي كل مرحلة تأثر فيها الإعلام بالتكنولوجيات أوجد نظرية إعلامية ذات علاقة وطيدة بالمجتمع فسرت كل التأثيرات والتأثر من وإلى المرسل والجمهور.

فمع ظهور تقنية الطباعة وانتشار الجرائد سادت فكرة التأثير المطلق وهو ما يعرف بنظرية الرصاصة السحرية أو الحقنة تحت الجلد، إلا أن هذه النظرية لقيت انتقادات عديدة كون التأثير لا يكون مطلقا وإنما نسبيا، خصوصا أن المتلقي يتمتع بعقل يفكر ويحلل إضافة إلى مكتسباته التاريخية والعقائدية التي تخول له رفض بعض الرسائل وقبول أخرى بناء على توافقها مع خلفيته الموروثة والمكتسبة.

كما أن النظريات تطورت إلى ما يسمى بنظرية الإشباعات والحاجات، نسبة إلى أن الإنسان لا يستخدم تكنولوجيا معينة إن لم تحقق له رغباته النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية ولم الأخلاقية أيضا. لهذا يمكن الجزم بأن المتلقي عنصر فعال وغير ساذج في تلقي الرسالة الإعلامية، بل إنه إن انصاع للرسالة دون تدخل فهذا دليل عن رغبته الشخصية لسبب قد يكون إما السعي وراء

الاستقرار أو مخافة الانعزال عن المجتمع أو الفكرة السائدة فيه، وهذا ما تترجمه نظرية لولب الصمت أو نظرية القطيع إن صح التعبير.

إن التطور التكنولوجي مس بشكل كبير قطاع الإعلام والاتصال لدرجة أنه خلق ما يسمى الآن بالعولمة، قرب البعيد ووحد المختلف فنشأت في هذا العالم الجديد قيما بديلة وصلت لحد الثقافة المحلية فيما يسمى بتصنيع المعلومة وتسليع الثقافة حسب ما جاءت به دراسات مدرسة فرانكفورت، وللأسف الشديد قبلها المجتمع لأنها ميزة من مميزات النظام العالمي الجديد.

مؤخرا عرف العالم العربي وحتى بعض العالم الغربي سلسلة من الاحتجاجات والثورات كأسلوب للتعبير عن التذمر المصاحب لسوء التسيير السياسي للأنظمة القائمة ومنها الثورات العربية الآن والتي عرفت بالربيع العربي. فبعضا منها استطاعت تغيير الأنظمة وتحويل مجرى الأحداث وإحداث حالة أزمة طارئة استوجبت التدخل على جميع المستويات. لكن الذي لا نستطيع إنكاره هو مدى تدخل وسائل الإعلام إلى جانب الجمهور في هذا التغيير حتى عبر بعض الخبراء عن هذه الظاهرة وسماها بالحرب الإعلامية.

إذن يبقىالإشكال المطروح هو:

" هل يعد التأثير في الواقع السياسي حصيلة اشتراك المتلقي مع شبكات التواصل الاجتماعي؟"

و للإجابة عن هذه الإشكالية علينا أن نجيب عن بعض التساؤلات الفرعية التي تعتبر جوهرية في هذه الدراسة وهي:

- من يستخدم الآخر الفيس بوك أم المتلقي؟
- هل للمتلقي دور في التأثير على المجتمع السياسي؟
- هل هناك اشتراك للمتلقي مع الفيس بوك في عملية تغيير الأنظمة؟
- ما علاقة الهوية الافتراضية بالتغير السياسي؟
- هل يعد اشتراك المتلقي طوعي أم مسير؟

1- دراسة في المفاهيم:

أ- التلقي:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن : " التلقي هي الاستقبال، ومنه قوله تعالى{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[فصلت/الآية:35]، [...]و أما قوله تعالى {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ}[البقرة/الآية:37] فمعناه أنه أخذها عنه، ومثله لقنها، وتلقنها وقيل:{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ}[النمل/الآية6] أي تعلمها ودى بها"[1].

وجاء في القاموس الموسوعي لعلوم الإعلام والاتصال أن عملية التلقي مرتبطة بالمتلقي وهو " الذي يتلقى ويحلل رموز الرسالة المبثوثة من طرف المرسل"[2].

إن مفهوم التلقي في اللغة العربية مرادف لمفهوم الاستقبال في اللغات الأجنبية باللغة الفرنسيةRécepteurوتعني الاستقبال على غرار اللغة العربية الذي يستخدم فيها مفهوم التلقي لما جاء في القرآن الكريم:

{إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ}[ق/الآية:17]

{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ... }[النور/الآية:15]

ومن خلال الاستعمال القرآني لمادة التلقي مع النص تنبهنا إلى ما قد يكون لهذه المادة من إيحاءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص، حيث ترد لفظة " التلقي" مرادفة أحيانا لمعنى الفهم والفطنة"[3].

كما أن هذا المفهوم الجديد الذي دخل فضاء العلم اتسم بالتنظير الجاد تحت إطار نظرية الاستقبال أو التلقي وخلق نوعا من النزاعات المذهبية الفكرية حيث أن " رواد نظرية الاستقبال يلقون على الماركسية تبعة الأزمة التي حدثت في الأدب بعامة، وفي انحراف القارئ في تعامله مع النص بصفة خاصة ونقاد ألمانيا الشرقية يصفون نظرية الاستقبال بأنها محاولة" برجوازية تدل على إفلاس روادها في إيجاد البدائل للمعالجة الماركسية"[4]. وبالتالي فإن تحديد مفهوم واضح وصريح لماهية هذه النظرية أي هل نقول نظرية الاستقبال (التلقي) أم نظرية الاستجابة؟ هذا يتحدد وفقا للخلفيات الفكرية للنظام الممارس فيه عملية التلقي، فهو التلقي في النظام الرأسمالي الذي يقر بحرية الفرد في عملية التلقي وهو الاستجابة في النظم القهرية فتكون بذلك "حربمناوئة لهذا النظام الذي أحكم قبضته على القارئ فجعله موجها بهذه الجبرية فترة طويلة"[5] .

ب- الجمهور:

يقول ريافيل ريمي أن " مفهوم الجمهور ليس له نفس الدلالة في الفرنسية والانجليزية، فعند الأنجلوسكسونيين يعني الجمهور بمفهومه الواسع... وفي فرنسا هو مرادف للمستمع. ويعني مجموع الأشخاص الذين هم في لحظة معينة في اتصال مع وسيلة إعلامية معينة"[7].

أما حسن حمدي يقول أن " الجمهور يتميز بعدم التجانس وفي نفس الوقت غير معروف المصدر"[8]، [9]هو هنا يركز على مميزات الجمهور وخصائصه، والتي ذكرتها لجنة شون ماكبرايد، حيث عرفت الجمهور كالتالي:" الجمهور... تدين بوجودها لتقاسم أفرادها تجارب معينة وذكريات وتقاليد محددة وظروف حياة بعينها، بيد أن هذه الجماعة ليست كلا متماثلا"[9].

أما معجم مصطلحات الإعلام فقد أورد مفهوم الجمهور كالتالي: " جمهور المتلقين، حشد من الأفراد يتركز انتباههم على مؤثر خارجي كجمهور مشاهدي السينما والتلفزيون، ويكون الاتصال في هذا الحشد في اتجاه واحد أي من المؤثر إلى أفراد الحشد"[10] لكن هذا غير صحيح فالحشد غير الجمهور

فجمال العيفة يقول " ويرى هربرت بلومر أن الجمهور يختلف عن الحشد أو الجمهرة في أن الجمهور أكثر تفككا وأقل اندماجا وأن أفراده ليسوا متماسكين ولا يقوم بينهم التماسك الانفعالي الذي يتوفر في الحشد، كما أن الفرد في الحشد ينسى ذاته ويتجه بعواطفه إلى الإيحاء الجمعي ويتفاعل مع الجو المحيط به، وبدا يتكون ما يسمى بالعقل الجمعي أو العقل الجماهيري"[11]. أما الجمهور حسب جوديت لازار فهو " مجموع الأفراد الذين يشكلون مستهلكي وسائل الإعلام الجماهيرية"[12].

و بالتالي فإن الجمهور هو مجموعة من الأفراد غير المتجانسين لا في الجنس، السن، والقيم والعادات والتقاليد يجمعهم شيئ واحد وهو تعرضهم لوسائل الإعلام. أما في دراستنا هذه فإن جمهورنا هو كل المتلقين الذين يتعاملون مع مواقع التواصل الاجتماعي وبالتحديد جمهور الفيس بوك.

ج- شبكات التواصل الاجتماعي:

إن شبكات التواصل الاجتماعي يحمل في طياته مفهومين وهما: الشبكات الالكترونية والتواصل أو الاتصال الاجتماعيو بالتالي فإن الشبكات التواصل الاجتماعي هي كل تواصل اجتماعي عبر تقنية الإنترنت وبالخصوص كل المواقع الالكترونية التي تحقق للجمهور التواصل فيما بينهم وذلك مثل الفيس بوك، واتس آب، تويتر وغيرها.

ويعرف زاهر راضي مواقع التواصل الاجتماعي: "منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاءموقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها"[13].

وتضع كلية شريديان التكنولوجية Sheridan تعريفاً إجرائيا للإعلام الجديد بأنه: "أنواعالإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلا عن استخدام الكومبيوتر كآلية رئيسة له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته"[14].ويمكن تقسيم مواقع التواصل الاجتماعي بالاعتماد على التعريفات السابقة إلىالأقسام الآتية:

1- شبكة الانترنتOnlineوتطبيقاتها، مثل الفيس بوك، وتويتر، اليوتيوب، والمدونات، ومواقع الدردشة، والبريد الالكتروني... فهي بالنسبة للإعلام، تمثل المنظومة الرابعة تضاف للمنظومات الكلاسيكية الثلاث.

2- تطبيقات قائمة على الأدوات المحمولة المختلفة ومنها أجهزةالهاتف الذكية والمساعدات الرقمية الشخصية وغيرها. وتُعدّ الأجهزة المحمولة منظومة خامسة في طور التشكل.

3- أنواع قائمة على منصة الوسائل التقليدية مثل الراديو والتلفزيون "مواقع التواصل الاجتماعي للقنوات والإذاعات والبرامج" التي أضيفتإليها ميزات مثل التفاعلية والرقمية والاستجابة للطلب.

د- الفيس بوك:

إن مصطلح الفيس بوك جاء من التقاليد الانجليزية في تدوين دفتر فيه صور والسيرة الذاتية لطلبة جامعة أو مدرسة ما، وإن كان الإنسان يريد معرفة شخص ما في مؤسسة تعليمية معينة ما عليه سوى الاضطلاع على هذا الدفتر، ونلاحظ أن الفيس بوك يحمل هذه الصفات لدى سمي كذلك.

إن مؤسس الموقع هو مارك بيرج أطلق الموقع في الرابع من فبراير 2004 في جامعة هارفارد التي كان طالبا بها على أساس أن يكون وسيلة اتصالية بين طلبة الجامعة وبعدها انتشر على المدى العالمي. وقال عنه مؤسسه " لقد أضحى كل منا يتكلم عن الفيس بوك العام، الذي تفكر الجامعة في إنشائه، أظن أنه من السخف أن يستغرق الأمر من الجامعة سنتين من أجل تنفيذ ذلك. وجدت أنه بإمكاني تنفيذه أفضل منهم وفي أسبوع واحد"[15] إن الفيس بوك الآن يعد من أهم مواقع التواصل الاجتماعي التي تضمن الاتصال بين الناس والتسلية وكذلك عمليات التسويق للمنتجات وحتى الحملات الانتخابية السياسية كما حصل مع حملة الرئيس الأمريكي أوباما.

و مؤخرا لاحظنا انتشاره في المجتمعات العربية كوسيلة للاتصال، التسويق، والتعبير الحر للآراء خصوصا تلك المتعلقة بالأنظمة السياسية. حيث استخدم شباب 6 أبريل الفيس بوك للتحريض على إضراب 6 أبريل.و قد أشارت عدة دراسات حديثة أن الفيس بوكالدرجة الأولى إضافة إلى وسائل الإعلام كان لها دور أساسي وهام في حشد الشعوب في ثورات الربيع العربي.

هـ- ثقافة التغيير والثورات العربية

إن نشوء هذا الفضاء الجديد من الحرية أسهم في التحول النوعي الذي طرأ على استخدام الشبكات الاجتماعية على الإنترنت، من كونها أداة للترفيه، والتواصل، إلى أداة للتنظير والتنظيم والقيادة، ثم إلى وسيلة فعّالة لنقل الحدث، ومتابعة الميدان، ومصدراً أولياً لوسائل الإعلام العالمية.

صحيح أن الإعلام وحده لا يصنع التغيير، وأن التغيير هو نتاج إرادة عامة، يحركها دافع الناس الطبيعي نحو هذا التغيير، والإعلام إنما هو أداة من مجموعة أدوات. ويقول ميشيل فوكو إن الثورة الإيرانية انتشرت بشريط الكاسيت، ولم يقل إن شريط الكاسيت "الذي كان في حينه إعلاما بديلاً" هو الذي صنع الثورة! لذلك إن هذه الإرادة بدون وسائل الإعلام الجديد قد لا تساوي شيئاً، والعكس صحيح! فما جرى هو نتاج عوامل تفاعلت مع بعضها لتنتج لنا تغييرا بأسلوب لم يعهده عالمنا العربي من قبل، وغيّر أنماط حياتهم، مضفياً عليها مزيداً من التفاعل، والتواصل. فهل من سبيل إلى جهد منظم، لتوظيفه من أجل قضيتنا العادلة كما يفعل أعداؤنا من أجل قضاياهم غير العادلة؟!

وأصبحنا بفضل هذه الثورة أمام إعلام جديد لا يحتاج إلى أي رأسمال، كل رأسمالك هو هاتفك النقال وكاميرا وحاسوبك الشخصي. ولا يمكن لإعلام الجديد الاستغناء عن الإعلام التقليدي وأنه لن يتحقق له الرواج إلا إذا استخدمه الإعلام التقليدي وأشار إليه ونقل عنه، فالكثير من الأحداث كان السبق فيها للمدونين أو لبعض المواقع الإلكترونية.ويعتقد الكثيرون أن الإعلام الجديد هو الإعلامالقادم، فالكثير من التلفزيونات اليوم يمكن توقف بثها المباشر وتعرض خدماتها على

الإنترنت، وأصبح الكثير من القنوات التلفزيونية لديها حسابات مثلا على . You Tube، Face book وTwitter.

عند ظهور مواقع التواصل، فإن العرب إجمالا قاموا باستخدامه أولا، وقبل كل شيء، كأداة للطرح السياسي، وذلك لعدم وجود إعلام محايد أو مؤسسات للمجتمع المدني أو نشاط سياسي في الشارع العربي. ولكن هناك مبالغة في الدور الفعلي لمواقع التواصل في تغيير واقع السياسة. وإن دور أعضاء مجموعات فيسبوكأو المشاركين هو في غالب الأحيان رمزي، ولا يتعدى حدود الشكليات. لذلك، فإن النشاط السياسي في الانترنت لا يترجم بالضرورة إلى تغيير أو نشاط سياسي فعلي في الشارع العربي. وبالرغم من النشاط الكبير على الانترنت في مصر، إلاأن التغيير السياسي الحقيقي لم يولد في الانترنت، بل تولد في الشارع، وجاء الإعلام الجديد مكملا له، وهذا بسبب الأمية التي تعاني منها الشعوب العربية.

وقام الإعلام الجديد بدور ملموس في حشد وتوجيه المتظاهرين، لكنه لم يكن مفصليا في تسيير الأحداث.في مصر، استمرت المظاهرات بشكل كبير بعد قطع خدمات الانترنت. وكذلك، في اليمن، يقتصر عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي على عدد صغير، لا يواكب حجم الأحداث في الشارع اليمني. لذلك، فإن حشد المتظاهرين وتوجيههم لم يتم بشكل أساس عن طريق الإعلام الجديد.ولكن نقطة الاتفاق الرئيس هي عن دور الإعلام الجديد في إيصال صوت الشارع العربي إلى أنحاء العالم، من دون شك، كان لأفلام يوتيوب "والنشاط التويتري" دور كبير في حشد الاهتمام الدولي لقضايا الاستبداد في بعض دول العالم العربي.

ولا يزال دور الحكومات العربية في الإعلام الجديد غامضا، وقد يؤدي وجودها في مواقع التواصل الاجتماعي إلى تغيير شكل المداولات السياسية. ففي المستقبل القريب، إذا كان هناك توظيف مثاليمن قبل الحكومات العربية فسيكون هناك وجه آخر مختلف تماماً للإعلام عما نعيشه اليوم. وفي حال انخراط الناشطين في مؤسسات المجتمع المدني، فإن الطرح السياسي على تويتر وغيره سيصل إلى مرحلة اكبر من النضج الفكري. سيؤسس المجتمع المدني إلى خطاب سياسي جديد وسيكون له أثر في المداولات القائمة اليوم على مواقع التواصل الاجتماعي.

والإعلام الجديد هو باختصار مرحلة انتقالية من الركود إلى الوعي السياسي، وبالتأكيد مرحلة انتقالية في تغيير شكل الحكومات العربية والمجتمع المدني. لذلك، فإننا قد نرى في المستقبل القريب ركودا سياسيا في مواقع التواصل الاجتماعي، يعوض عنه بنشاط حقيقي في منظمات المجتمع المدني والعملية السياسية.

جيل التغيير هو المصطلح الذي يصبو إليه الشاب العربي، والذي سيقوم تدريجيا بالانتقال من الكتابة الشكلية على الانترنت إلى التأثير الحقيقي في العملية السياسية، عند حدوث ذلك، فإننا

سنشهد تحولا من كون الاعلام الجديد منبرا سياسيا الى أداة اجتماعية، وسيجد الخطاب السياسي مساحة اكبر وتأثيرا أوضح[16].

وتتأتى القابلية على التغير من المقدرة على ذلك، ومن الاستطاعة لإدراكه، أيا ما تكن المعوقات. ويجند الفرد كما الجماعة بموجبه، قدراتهما على العطاء والتضحية، حتى وإن تطلب الأمر لبلوغ ذلك، التسليم في الرزق أو الطموح أو الحياة، لأن المطلب أقوى بكثير.القابلية هنا لا تحتكم إلى مصلحة خاصة، فردية ومباشرة، ولا تنبني على تطلع لإدراك هذه المنفعة الذاتية أو تلك، مادية كانت أو رمزية. إنها مصلحة الجماعة والمجموعة.

وما أفرزته الأحداث الجديدة في منطقة الشرق الأوسط، والتي لم يجر توصيفها علميا بعد، هل هي ثورات شعبية، أم حركات تغيير، أم احتجاجات شعبية...تجاوزت الأطر الإيديولوجية لمثيلاتها سابقا، فما يحدث، نتج جراء اليأس الذي يصيب الشباب من أن الثروات المادية التي يملكها الحكام العرب، والتي يسخرها الغرب لصالح شعوبه، لم تأت بأي نفع على شعوبنا العربية، هذا اليأس المتراكم لا يحتاج إلى أي فكرثوري يشحذ همم الناس بقدر ما يحتاج إلى مشاركة المختلفين في الرأي للمشاركة في الحال، وهذا ما ظهر واضحا أن المظاهرات التي جرت في العراق ألغت عمليا مفهوم الطوائف والديانات والفئات القومية، وأعطت مثالا أن مثل هذه التقسيمات هي من صنع السياسيين وليس من صنع الواقع العراقي[17].

وعلينا أن نفهم أن للتغيير ثقافته، ولا يمكن أن نفرض على أي تغيير شعبي كبير ومتعدد الأطراف أية ثقافة مسبقة، شخصيا تابعت مواقف الأحزاب التقدمية من الأوضاع في تونس ومصر والعراق والسودان واليمن، فوجدت أن هذه الأحزاب تريثت في المواقف، ولكنها أيدت التغيير، هي لا تريد أن تكون بديلا عن حركات الشباب، وفي الوقت نفسه لا تريد أن تتسلم قيادة الشباب، فشعارات اليوم من المرونة والوضوح لم تجد لها بعد أرضية مفاهيمية، وقد شهدنا في ميدان التحرير في مصر كيف أن النكتة تحولت إلى شعارات، وكانت مؤثرة في استقطاب الإعلام، هذا الموقف الجدلي سيكون هو الأكثر صوابا من المواقف التي تقف ضد التغيير، أو تلك التي لا يعنيها التغيير. وبالتأكيد لدينا في العراق هذه المواقف كلها، وعلى الشباب أن يعوا جيدا أن نجاح أية مواقف لا يعني نهاية الصراع، ومشروع الشباب الثوري دون غيره لا يقف عند إنجاز أو شكل حكم، بل يستمر دون توقف، لاسيما في منطقة لم تحصل من التقدم والحداثة إلا القليل...

2- الدراسات السابقة:

إن الدراسات السابقة المستخدمة في هذه الدراسة لها دور كبير في تحديد جوانب التداخل بين الفيس بوك والتغير السياسي ومدى تفاعل الجمهور مع الأحداث عب الفيس بوك فمع سرد والدراسات السابقة سوف نستنتج مجموعة من السلوكيات السوسيواتصالية للجمهور تحدد فكرة

الدراسة والتي تعطيها طابعا منطقيا علميا علما أن دراستنا هي فكرة جوهرية تستند إلى رؤيا جديدة غير كلاسيكية في تحديد اتجاه التغير السياسي وعوامل التأثير فيه.

أ-دراسة انشراح الشال[18]: عالجت الباحثة في دراستها المعنونة ب" رؤية الشباب الجامعي لدور مواقع التواصل الاجتماعي في ثورة 25 يناير" حدود الدور الذي قام به الفيس بوك في التغير السياسي الذي شهدته مصر في الفترة الأخيرة، وذلك من خلال التعرف على درجة اعتماد الشباب المصري على مواقع التواصل الاجتماعي عبر شبكة الانترنت في متابعة أحداث الثلاثاء 25 يناير 2011 وتطوراتها ونتائجها. بالإضافة إلى التعرف على مستوى ثقافة الشباب في هذه المواقع، وذلك من خلال عينة غير احتمالية تكونت من 227 طالب بجامعة القاهرة أين خرجت الدراسة بنتائج مهمة:

- مواقع التواصل الاجتماعي من أهم الوسائل التي اعتمدت عليها العينة لمتابعة الأحداث ثم مواقع الجرائد الالكترونية، وهذا دليل هام على أن الانترنت من أهم مصادر استيفاء المعلومات.
- اعتمدت العينة على مواقع التواصل الاجتماعي للتعبير عن الرأي والمشاركة في الحياة السياسية، وهذا لانعدام الرقابة بها ودون بذل جهد فكري آو مادي.
- ترى اغلب العينة أن مواقع التواصل الاجتماعي توفر حاجاتهم المعرفية بخصوص الثورة.
- سمحت مواقع التواصل الاجتماعي بالتجمع الافتراضي عبر مجموعات خصصت لنفسها صفحات خاصة.
- 61.8% من العينة تثق بشكل أعمى في الأخبار المنشورة عبر الفيس بوك.
- الناشطون السياسيون هم أكثر من اعتمد على الفيس بوك.
- اهتمام كبير بدعوات الاحتجاجات والمظاهرات.
- أكدت أغلبية العينة إن السبب الأساسي لنجاح الثورة هو الإصرار، الإرادة الشعبية، الوحدة، انتشار الظلم والفساد والثورة التونسية.

ب- دراسة طه عبد العاطي نجم وانور بن محمد الرواس[19]: جاءت هذه الدراسة للتعرف على العلاقة بين وسائل الإعلام الجديدة والمعرفة السياسيةلدى الشباب العمانيين خلال حجم التعامل مع هذه المواقع واحتكاكهم بالمعلومات السياسية. واعتمدت الدراسة على عينة تكونت من طلاب جامعة السلطان قابوس من خلال استمارة، حيث خلصت الدراسة إلى:

- أكدت العينة أن المواضيع السياسية المحلية هي الأكثر اطلاعا عبر مواقع الإنترنت تليها العالمية والإقليمية.
- جاء الاهتمام بالمواضيع السياسية في المرتبة الثالثة بعد الثقافية والرياضية.
- من أهم أسباب تعرض الشباب العماني للمواقع الإلكترونية هو الفيديو والصورة ثم التفاعلية في الموقع الثاني وتزويد الجمهور بوجهات نظر مختلفة في الموقع الثالث.

- جاء موقع الجزيرة نت في الصدارة وهذا دليل على تصدر المعرفة السياسية المركز الأول.
- من أهمأسباب التعرض للمواقع الالكترونية: الجرأة في معالجة المواضيع، الابتعاد عن التوجه الحكومي، ارتفاع درجة المصداقية، تعدد المواضيع وحرية الرأي.
- أبرزت الدراسة أنه من أهمأسباب التعامل مع الانترنت المشاركة الحرة بالرأي دون قيود.

ت- دراسة المنصور محمد: رغم أنهاأطروحة ماجستير إلا أنها جاءت بنتائج مهمة للغاية حيث درس الباحث فيها تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين من خلال دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الالكترونية من خلال قناة العربية. فكانت هذه الدراسة تهدف إلى معرفة درجة تأثير المواقع الالكترونية والمواقع الاجتماعية على المتلقي وأيهما أكثر تأثيرا، فخلصت الدراسة إلى أن:

- الموقع الالكترونيللعربية وموقعها الاجتماعي أخذا نفس الشكل الخارجيو حتى بعض المضمونو كان الإقبال كبيرا عليه خصوصا أن المواضيع تنوعت من سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وغيرها.
- ما زاد الإقبال على موقع العربية هو تخصيص زاوية التعبير التي تضمنت صفحات خاصة تعنى بآخر الأخبارو تطورات الأحداث كربيع الثورات العربية للدول الست.
- ما زاد الإقبالأيضا هو إمكانية المشاركة بالرأي دون أي رقابة من خلال المدونات المفتوحة أمام المستخدمين لهذه المواقع.
- و أخيرا خلصت الدراسة غلى مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين وأنه لم يعد بإمكان متصفحي الانترنت الاستغناء عنها لما توفره من أخبار وتغطية شاملة وعاجلة ومعلومات ومعارف مفيدة ز متنوعة، ومحادثة (دردشة) مع الأهل والأصدقاء وزملاء الدراسة والعمل وتبادل الأفكار والآراء.

ث- دراسة بن ورقلة نادية[20]: عنونتها الكاتبة ب " دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الرأي السياسي والاجتماعي في النهوض الثوري والجماهيري" فرات أنها استطاعت أن تثبت:

- وسائل التواصل الاجتماعي تبث روح التحدي لدى الجماهيرو تزودهم بجرأة المواجهة.
- مواقع التواصل الاجتماعي أنمت الحس الصحفي لدى الجمهور فتحولوا بين ليلة وضحاها غلى صحفيين لكتابة نداءات الجمهرة والاحتجاجات وتحديد أماكن تجمع الحشود الجماهيرية. كما استطاعوا أن يوصلوا أبناء التجمعات إلى العالم عبر الفيس بوك.
- استطاعت شبكات التواصل الاجتماعي من خلال الأخبار المنشورة فيه عن الثورات العربية إن تقتل فوبيا الأنظمة الظالمة وذلك من خلال نشر تجارب الدول التي أطاحت برؤسائها مثل تونس ومصر وليبيا.

- استطاعت شبكات التواصل الاجتماعي إن تنقل التفاعل من الدردشة والتسلية إلى الحوار، النقاش والجدل السياسيالذي أفضى في الأخير إلى وعي الخروج والتغيير.
- وسائل التواصل الاجتماعي مجرد أدوات لدفع عجلة الحركات الشعبية وليست سببا في الحراك الاجتماعي بل اجتمع مع أسباب أخرى كثيرة.
- إن شبكات التواصل الاجتماعي لعبت دورا هاما في إيقاد شرارة الثورات وتوحيد الجماهير ونزع روح الاستكانة والهزيمة والخنوع من قلوبهم.

ج- دراسة بشرى جميل الراوي[21]: حاولت الدكتورة من خلال دراستها أن تعالج الإشكالية الآتية " هل تلعب وسائل الإعلام دورا داعما في التغير الاجتماعي عن طريق تقوية المجال الجماهيري؟" وخلصت إلى:

- مواقع التواصل الاجتماعي تعدعاملا مهما في تهيئة متطلبات التغير عن طريق تكوين الوعي لدى الإنسانو تغيير نظرته لمجتمعه والعالم.
- الرسائل الإخبارية لا تؤدي فقط إلى إدراك الحقيقة بل إنها تسهم في تكوين الحقيقة وحل إشكالاتها.
- التغير الاجتماعي لابد أن يسبقه تغير في الذهنيات والعقليات.
- خلصت الباحثة أيضا غلى مفهوم جديد وهو فوبيا المكان أو فوبيا التجمع المكاني التي تعد فضاء للتمرد والثورة.
- إن مواقع التواصل الاجتماعي لم تصنع التغيير بل كانت مكملة له بعد أن بدأ في الشارع.

ح- دراسة احمد عبد الله عبد الجبار وآخرون[22]:حاول عميد كلية العلوم السياسية احمد عبد الله عبد الجبار وآخرون أن يدرسوا دور شبكات التواصل الاجتماعي في ثورات الربيع العربي ومستقبل هذه الشبكات في ظل الاوضاع الراهنة فخلص إلى أن دورها يكمن في:

- التعبئة السياسية: وذلك من خلال تحويل الغضب الافتراضي إلى غضب واقعي كتحويل التجمع الافتراضي عبر الفيس بوك إلى تجمع حقيقي على ارض الواقع ومن التعبير عن الرأي في العالم الافتراضي إلى الاحتجاجات في الميدان من خلال عبارة "ارحل"، ومن هنا برز قادة رأي جدد من خلال الفيس بوك والذين جندوا جمهورا دعي حتى من لا يرتاد الفيس بوك إلى التجمهر الحقيقي، أي الدعوة إلى التعبير عن الرأي بين الناس حتى من غير مستخدمي الانترنت[23].
- التنظيم والتنسيق: ادت شبكات التواصل الاجتماعي دورا مركزيا في التنظيم، التنسيق وتنفيد المظاهرات حيث قامت هذه الشبكات بتنسيق التواصل بين القيادات الميدانية والفئات المشاركة في الحملات الاحتجاجية[24] ،إن هذه الشبكات استطاعت أن تشكل عقل جمعي عربي" وبدا جليا من خلال اتفاق الجمهور على بعض الشعارات.

●واجهات إعلامية بديلة: وهذا من خلال نشر أطروحات وخطابات حول الإصلاح وتحريك الجماهير ونشر الأحداث والأخبار خصوصا بعد أن فقدت الوسائل الرسمية مصداقيتها. كما استطاعت أيضا كسر احتكار الدولة والطبقات السياسية والاجتماعية القديمة للإعلام حيث انقلبت الأدوار بعدما كان الجمهور متلقيا أصبح مرسلا والدولة هي المتلقي من خلال متابعة أخبار الثورة وتحركاتها عبر هذه المواقع وبدا عصر جديد من الإعلام ذو اتجاهين.

●أداة للتوظيف السياسي: إن شبكات التواصل الاجتماعي استطاعت أن تكون بديلا حرا للشباب لإنشاء أحزاب وتنظيمات افتراضية من خلال نشر الأفكارالسياسية ومناقشتها وتكوين أيضا تحالفات سياسية عبر النت[25] حتى أن قوانين وحالات الطوارئ عجزت عن كبح هذه الحركات السياسية والأحزاب الافتراضية[26] . وأضاف الباحثون دورا هاما جدا صنع الفارق ألا وهو الحصول على الدعم الدولي من خلال نقل الأحداث والتجاوزات التي قامت بها السلطة في دول الربيع العربي وهذا لإضعاف شرعية النظام الحاكم وإضفاءصبغة الشرعية للثورة.

3- أحوال الدول العربية قبل الربيع العربي:

إن الدول العربية لا تكاد تخرج مما خلف الاستعمار الكلاسيكي حتى وقعت في فخ استعمار جديد يكاد يشبه الكلاسيكي في العديد من الخصائص كالفقر والحرمان والتخلف في شتى المجالات ويختلفان في مصدره فالأول خارجي والثاني داخلي يتمثل في الأنظمة المستبدة. فالواقع يشير إلى حالة عجز كبرى تعيشها الدول العربيةفي شتى المجالات بل الأسوأأنها في تخلف مستمر مقارنة بالدول الكبرى التي تزداد نماء وازدهارا.

أ-الأحوال السياسية: إن الحديث عن السياسية أحوال الشعوب يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الديمقراطية التي تشمل احترام حقوق الإنسان، التعددية السياسية، تداول السلطة بصورة سليمة، فعبد الله ثناء فؤاد[27] يقسم الأنظمة العربية إلى ثلاث نماذج: أولها نموذج الاستبداد السياسي بغض النظر عن مصادر شرعيته سواء كانت التقاليد، الانقلاب الثوري أو الشخصية الملهمة. ثانيها نموذج التعددية السياسية المقيدة وثالثها نموذج الحكم القائم على أساسالشورى الإسلامية. بالتالي فإن الدول العربيةإما دولة الفرد أو دولة الحزب الواحد أو دولة المؤسسة العشائرية القبلية، أو دولة تتظاهر بالديمقراطية المزيفة لكنها استبدادية في الأصل. هذا التحكم غير العادل خول لبعض الحكام الاستئثار بالسلطة وثوراتها مما زاد الهوة بين السلطة والشعب[28].و يقول برهان الدين غليون "جميع النخب الحاكمة اليوم في البلاد العربية قد استلمت السلطة بالسيطرة المباشرة، إما بسبب خروج القوى المحتلة وبالتفاهم المسبق معها، أو بسبب اعتمادها مشروعية تاريخية لم يعد النظر فيها أو تجديد أصولها كما في بعض الملكيات والمشيخات، أو بمناسبة انقلابات عسكرية، ولم تعتمد أي منها في صعودها إلى سدة الحكم وفي تجديدها لنفسها في هذا الحكم على أي مشاورة جدية وحقيقية للمواطنين." [29] .كما إن الإشكالية السياسية الأخرى تكمن في الاستقرار الدستوري والسياسي، فرغم

احتوائها على نصوص تضمن الديمقراطية والحريات الفردية واستقلالية السلطات الثلاث لبعضها إلا أن اغلبها تبقى حبرا على ورق[30].

كما تعد التبعية للدول الخارجية من بين مظاهر فشل السياسات العربية في تحقيق الاستقلالية والديمقراطية فعلى سبيل المثال عندما توعدت "ليفني" وزيرة الخارجية الإسرائيلية سابقا حركة حماس بأنها لن تسمح لها باستمرار سيطرتها على قطاع غزة وأعلنت الحرب على غزة عام 2008 من العاصمة القاهرة ليقوم أحمد أبو الغيط وزير الخارجية سابقا بتحميل كامل المسؤولية للفلسطينيين بحجة خرق الهدنة. كما لا يمكننا أن ننسى التدخل الامريكي في العراق واعدام صدام حسين دون أي حراك عربي، إلا من طرف الرئيس السابق رحمه الله معمر القذافي الذي أشار في إحدى جلسات القمة العربية إلى ذلك، وأكد أن السكوت العربي سيقود الجميع إلى نفس المصير فكان أولهم.

و من مظاهر التخلف السياسي ايضا تكريس التجزئة والانقسامات والخصومات خصوصا بين الدول الجارة. وكل هذا يفضي في الأخير إلى ان غياب الشرعية هو السبب الرئيس لمثل هذه التجاوزات السياسية حتي أن الاستاذ العلكيم حسن قال أن الانظمة العربية اصبحت ادوات لتمرير السياسات والمصالح الغربية والامريكية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية[31].

ب- الأحوال الاقتصادية: إن التشرذم والتفكك والانقسام العميق بين الدول العربية توسع ليشمل الوضع الاقتصادي الذي امتاز ب: تجزئة الاقتصادات العربية وعدم تكاملها، تعثر مسيرة السوق العربية المشتركة، التبعية الاقتصادية للسوق الدولية وتفاقم ظاهرة التفكك الاقتصادي32 . كما يعد توظيف الأموال العربية في الخارج وهروبها إليه من اهم مميزات الاقتصاد العربي، حيث كل دولار يستثمر داخل الدول العربية يقابله 75 دولار يستثمر في الخارج33.

إضافة لما سبق فإن الفجوة الغذائية أي العجز الغذائي يزداد يوما بعد يوم وهو يعد من ابرز التحديات التي تواجه غالبية الدول العربية كما تعد ندرة المياه، البطالة وانخفاض الدخل الفردي اهم اسباب تأزم الوضع الاقتصادي. وفي هذا الصدد يرجع الدكتور وسيم حرب سبب هذا التخلف إلى " أن الاقتصاد العربي واقع تحت سيطرة حكومات وانظمة لا تسعى إلى تحقيق التنمية المستقلة. والتنمية المستقلة لا تعني الاكتفاء الذاتي أو الانقطاع عن العالم بل تحرير الاقتصاد من السيطرة أو الهيمنة الأجنبية وحسن التصرف بالموارد الذاتية وتوظيفها في مشروعات التنمية القطاعية والبشرية وبناء مجتمعات المعرفة ومكافحة الفساد وإعداد الطاقات الانتاجية خصوصا رأس المال البشري. فالإنسان هو مبدأ التنمية وأداتها وهدفها وتامين حقوقه يشكل الأساس المادي لمفهوم التنمية بمضمونها الديمقراطي"[34].

ج-**الأحوال الاجتماعية:** تتذيل الدول العربية قائمة دليل التنمية البشرية وهي تتراوح ما بين 40 وتحتلها قطر و101 تحتلها اليمن مع بقاء الصومال والعراق خارج القائمة لأوضاعها الخاصة[35].

د-الأحوال الإعلامية: إن واقع الإعلام في الدول العربية يمتاز بالتبعية للأنظمة سواء كان طوعيا أو قسريا. فغالبا ما ينعدم الإعلام الحر، وهذا ما شاهدناه في الإعلام المصري الذي انحاز في بادئ الامر للسلطة وبمجرد الاطاحة بها انحاز للثورة وبعدها انقلب على الثورة بمجرد عزل الرئيس محمد مرسي وتنصيب الرئيس الحالي السيسي.

كما أن غالبية الدول العربية تستخدم الاعلام للتأثير على الراي العام لتبني وجهة نظر الحكومة في ظل النظرية السلطوية للإعلام أو حتى الاشتراكية حسب الانظمة السياسية. حيث في بعض الدول يعد قانون الاعلام بمثابة المقصلة على اعناق الصحفيين فهي تمتاز بغرامات مالية باهضه وعقوبات تمتد لغاية السجن، حيث سجن صحفي تونسي لمدة سنة كاملة لأنه نشر خبرا عن فساد عائلة بن علي وزوجته ليلى الطرابلسي[36].

كما أن الاعلام العربي يمتاز بالتبعية الاقتصادية إما لأصاحب رؤوس الأموال او حزب معين أو جهة أمنية. ولبا ننسى أن نذكر ظاهرة انتشرت في الاعلام العربي ألا وهي شراء الذمم.

هـ- الأحوال العلمية والثقافية: إن الوضع الفكري في الدول العربية لا يقل خطورة عن باقي الأوضاع السابقة الذكر فبالرغم من التطور التكنولوجي والبحث العلمي والاختراعات في الدول الاجنبية إلا أن الدول العربية تكتفي باستيراد التكنولوجيات الحديثة التي وظفتها لتكريس سياسات الانغلاق والاغتراب الاجتماعي حتى لا يكون للفرد دور فعال في المجتمع ويكتفي بالحياة الافتراضية التي تحقق له كل ما يرغب فيه.

كما ان أغلب الدول العربية ينخفض فيها دخل الأستاذ وميزانية البحث العلمي، وهو ما رجح لسياسة هجرة الأدمغة نحو الخارج.

4- دور الفيس بوك في الوعي السياسي:

أول ما بدا الفيس بوك كان عبارة عن فضاء للقاء وانشاء علاقات صداقة ودردشة، واغلب المشتركين كانوا يحبذون التسلية، لكن مع تردي الاحوال اصبح الفيس بوك منبرا للشكاوى والتذمر، خاصة أنه مجاني ويمتاز بالحرية في ابداء الرأي دون قيود أو رقابة

أ- الهوية الافتراضية:

إن الفيس بوك يمتاز بإمكانية الاشتراك باسم مستعار أو ما يسمى بالهوية الافتراضية وهي هوية وهمية لا وجود لها في الواقع وإنما انشأها الفرد كهوية بديلة في مواقع التواصل الاجتماعي قد تصل حد تغيير الجنس والسن والجنسية وما إلى ذلك. هذا ما يعطي المشترك امانا نفسيا وسياسيا لا يوجب المتابعات القضائية التي تترتب عليه في المجتمع الحقيقين خاصة وأننا اكدنا سابقا استبدادية الأنظمة وعدم شرعية اغلبها.

و كما سبق الذكر فإن الدول سمحت لهذه التكنولوجيات الحديثة من ولوج بيوت الجماهير قصد ابقائها بعيدة عن الاشتراك في الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، خصوصا أن هذه الدول لم تتمكن من تحقيق رغبات وحاجيات شعبها، فحاولت أن تحققهاله في الواق الافتراضي دون الحقيقي وحتى تسلم من غضبه فشاهدنا مواقع يحقق فيها الفرد الغنى الفاحش، وأخرى للعلاقات الاجتماعية والحميمية وأخرى لتحقيق الذات.

صحيح أن الجمهور وجد ما كان يرجو، لكن هناك ما يسمى بالحاجة السياسية وهي طبيعة في النفس البشرية التي تبحث عن القيادة، الاستقرار، القوة والريادة. في بادئ الأمر أخذت الحاجة السياسية طابعا سلميا بمناقشة الأوضاع السياسية وانشاء حلقات للحوار والتشاور وتفريغ الغضب السياسي، وانشاء تجمعات وأحزاب افتراضية، كما أشارت إليه الدراسات السابقة التي تطرقنا إليها حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في تلبية حاجة المعرفة السياسية فمن خلال العينات المدروسة أكد أغلبهم ترددهم على الصفحات السياسية التي تنقل واقع الثورات العربية كان لاستقاء المعلومات وكل هذا دليل على الثقة بين الجمهور والفيس بوك.

إذن فالفيس بوك يعد من أهم مواقع التواصل الاجتماعي التي تحقق الوعي السياسي من خلال طرح آخر الاخبار عن الثورات العربية ومناقشتها بكل حرية دون تغليط أو تضليل.

ب- الهوية الافتراضية: من المجتمع الحقيقي إلى الافتراضي أم العكس؟

إن الاشكالية الأساسية في العلاقة بين مواقع التواصل الاجتماعي والحراك السياسي والوضع السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي والاعلامي تكمن في الحاجة، الهروب من الواقع، وأي الشخصيات سبقت الأخرى في عملية التنشئة الاجتماعية، هل الهوية الحقيقية أم الهوية الافتراضية؟ والحديث عن عملية الانتقال من هوية افتراضية إلى حقيقية أم العكس يعالج على مستويين وهما:

- **المستوى الأول: الانتقال من المستوى الحقيقي إلى الافتراضي**

لقد سردنا سابقا تردي الاوضاع في الدول العربية في شتى المجالات وهذا ما يفسر حاجة الفرد إلى أمور عدة منها الاستقرار الأمني، النفسي، الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي وغيرها، فبالرغم من بساطتها إلا انها مستحيلة في الواقع الحقيقي فيبحث عنها الفرد في مكان آخر أين يعد تحقيها امرا سهلا لا يتطلب جهدا وعناء اجتماعي. ولأن الدولة سهلت له الاحتكاك بوسائل الاعلام الجديد سيجد كل ما يتمناه في هذا العالم الافتراضي: المال، السعادة، العلم، الأسرة، الصداقة كلها موجودة وبالتالي سيحقق كل ما يتمناه دون الحاجة إلى العناء النفسي.

لكن هذه الفئة من الجمهور وفي هذا المستوى تكون قد حققت في بادئ الأمر شخصية حقيقية انهارت في الواقع وتحولت في العالم الافتراضي إلى شخصية جديدة أحسن من الأولى فحدث الاستقرار على مستوى الفرد وبالتالي على مستوى المجتمع فالدولة أخيرا. وهذه الفئة غالبا ما تعاني من اغتراب اجتماعي مقبول على الصعيد النفسي وهو أملا في الهروب من الشخصية الحقيقية الفاشلة.

- **المستوى الثاني: الانتقال من المجتمع الافتراضي إلى المجتمع الحقيقي**

هذا النوع من الجمهور هم غالبا الجيل الحديث أو جيل التكنولوجيات الحديثة، فهو بمجرد بلوغ سن الخامسة يكون قد أجاد خبايا الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي التي تكون قد صقلت شخصيته الافتراضية قبل الشخصية الحقيقية واكتسب قيما خيالية تتلاءم مع العالم الافتراضي لا الحقيقي من خلال الألعاب الالكترونية ومفاهيم خاطئة عن القوة والرجولة والصداقة (الصداقة المزيفة بأسماء مستعارة وتنتهي بضغط زر في الكمبيوتر) وكذلك القوة التي مفادها النجاح في الالعاب الالكترونية.

كل هذه المفاهيم تتصادم مع معناها الحقيقي في الواقع أو المجتمع الحقيقي بمجرد خروجه للمدرسة، الجامعة، والعمل فيبقى حبيس الشخصية الافتراضية التي تعد إن صح التعبير هي الشخصية الأصلية او الحقيقة للفرد التي اكتسبها عبر التنشئة الاجتماعية في صغرة التي لعب فيها الاعلام الجديد الدور الاكبر والأساسي وعوض مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية كالأسرة والمدرسة، ومحاولة التأقلم مع الواقع هي في حقيقة الأمر هي صراع بين القيم الافتراضية والقيم الحقيقة.

و هكذا نرى الفرد يبحث عن التأقلم مع الواقع دون التخلي عن قيمه الأصلية (هنا تنقلب الموازين فبينما كان الصراع سابقا في ظل العولمة بين الشخصية الحقيقية والافتراضية في وسائل الاعلام أصبح الصراع في عالم شبكات التواصل الاجتماعي بين القيم الأصلية للهوية الافتراضية وهي الأصل مع الهوية الحقيقة وهي الدخيلة على الفرد.

ج- التغير السياسي صراع بين الهوية الافتراضية والهوية الحقيقية:

إن الدراسات السابقة كلها تمحورت حول مدى التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقة نسبة التعامل بالتأثير، وكذلك نسبة الثقة بين المتلقي وشبكات التواصل الاجتماعي خصوصا الفيس بوك كونه من اهم المواقع.

فكل الدراسات أثبتت أنه كلما زاد التعامل مع هذه الشبكات كلما زاد التأثير. وترجم هذا التفاعل على المستوى الميداني في المجتمع الحقيقي، بينما مستوى الثقة هو الذي يخول للمتلقي الايمان بمصداقية الأخبار الموجودة في الفيس بوكو بموجبها يتخذ القرار الفاعل في المجتمع، وهكذا استفادت مواقع التواصل الاجتماعي من ثقة متعامليها لتحريك الراي العام حول فكرة واحدة وهي التعبئة نحو التغيير السياسي من خلال قلب أنظمة الحكم.كما أن الدراسات كلها تشير إلى هذه النتيجة حيث عاملا التعامل والثقة يؤديان لا محالة إلى التغيير السياسي، لكن السؤال المطروح هل هذا كل شيء؟ هل هذان العاملان هما أساسا التغيير؟

بالطبع لا، قد يجيب البعض كما فعلت الدراسات السابقة أن الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصاديةو غيرها هي المحرك الاساسي للتغيير وما شبكات التواصل الاجتماعي إلا تحصيل حاصل

حيث استفادت من تأزم الاوضاع وزادتها شرارة من خلال صب الزيت على النار، هذا صحيح لكن ليس بجوهر الموضوع.

فلنعد إلى ما سبق ذكره عن التنشئة الاجتماعية حيث حقيقة الأمر تكمن في أن واقعنا الحالي بتطور تكنولوجيات الاعلام والاتصال خلق مستويان من التنشئة الاجتماعية.

- **المستوى الأول:** تنشئة طبيعية في المجتمع الحقيقي ثم تنشئة افتراضية في المجتمع الافتراضي من خلال وسائل الاعلام.
- **المستوى الثاني:** تنشئة افتراضية في المجتمع الافتراضي من خلال وسائل الاعلام خصوصا الاعلام الجديد ثم تنشئة طبيعية من خلال المجتمع الحقيق.

إن المستوى الاول يعتمد على تربية الفرد داخل المجتمع من خلال قيم متفق عليها يكون أساسها الخنوع والانضباط واحترام الكبير من الاولياء وأولي الامر وهذا من خلال القيم الدينية ووازع ثقافي من خلال رؤساء القبيلة والشيوخ وهذا كله جزء من الثقافة العربية التي تعد جزء من الثقافة الاسلامية، كذلك التراكمات الاجتماعية التي تركت المتلقي العربي ينشأ في ظل حكم الفرد والحزب الواحد والأنظمة الملكية فرآها جزء من الحياة الطبيعية والموروث الثقافي السياسي. وبالتالي فإن أي ثورة على الوضع الذي نشا فيه يراه تمرد على الحقيقة والقيم، خاص في ظل الاجماع والاتفاق، فالثورة هنا تعد طفرة وتمرد على العادات والتقاليد وهو المرفوض في هذه الحالة من الناحية الأخلاقية والنفسية.

أما على المستوى الثاني فالفرد منذ نعومة أظافره يتعامل مع وسائل الاعلام فيكون شخصية افتراضية لا وجود لها إلا في وسائل الاعلام، لها قيم وعادات وتقاليد تمتاز بالوحدة بين الشعوب دون اختلافات عرقية أو قيود ثقافية أو حدود جغرافية والأدهى من هذا دون أي قوانين ردعية أو عقابيةو بعيدة كل البعد عن الواقع وثقافته وعاداته وتقاليده وقيمه. بل إن الكل ينتمي لثقافه واحدة تحت ظل العولمة التي تخدم النظام العالمي الجديد. إذن فالفرد يتشرب ثقافة الحرية، الثورة على كل ما هو عادي ويميل إلى الامور الغريبة كالرجل الخارق، المخلوقات الغريبة والفضائية مثل ما يبث في أفلام هوليوود وتكنولوجيا الطيران والتحول والاستنساخ وغيرها من الأمور الغريبة.

لكن ما نلمسه هنا هو انهيار القيم الدينية في العالم الافتراضي والسعي وراء كل ما هو مجرد وظاهر للعيان أي التحول إلى عبادة المادة وسلب كل القيم الروحية التي تسمو بالفرد، فأصبح الفرد مجرد آلة لا تهتم للواقع والقيم الأساسية كالعائلة والعلاقة الارتباطية بين الأولياء والأبناء بل عوضت بصداقات مؤقتة يمكن التخلي عنها بضغط زر، حتى العلاقات الحقيقية اليوم تنهار مع أول تصادم وتضمحل فنراها وصلت لحد التخلي عن الاولياء في دور العجزة أو حتى على الطرقات على طريقة Bloc أي إقصاء العلاقة بشكل تام من الحياة.

و كنتيجة لما سبق فإن الفرد بهويته الافتراضية وثقافة الحرية واللامحدود واللاعلاقات جدية وبمجرد نزوله واحتكاكه بالمجتمع الحقيقي يرى تنافيا مع ما تعلمه في العالم الافتراضي الذي كون فيه شخصيته الافتراضية والتي يراها هو أنها هي الشخصية الحقيقية التي اكتسبها عن طريق التنشئة الاعلامية او الالكترونية التي أصبحت بديلا للتنشئة الطبيعية في عالم الاعلام الجديد. هكذا فإن أي قيم غير التي تربى عليها تحتاج لإعادة النظر وتعتبر خرقا لابد من تقويمه وقد أوضحت مختلف الدراسات أن من قام بالثورات وقادها هم من فئة الشباب وهذا دليل على انهم ممن تشربوا الثقافة الاعلامية واكتسبوها.

إلا أن السؤال المطروح هل كل من خرج للميادين هم من الشباب؟

طبعا لا، هنا يتضح التداخل بين جيل الشباب صاحب الهوية الافتراضية الثائرة والجيل الآخر صاحب الهوية الحقيقية. فالهوية الافتراضية الثائرة تلعب دور القائد أو قادة الرأي فينقاد وراءها أصحاب الهويات الحقيقية خصوصا ممن يعانون اغترابا في عالمهم الحقيقي. اذن يمكن القول أن هذا هو العهد الجديد للهويات في ظل النظام العالمي الجديد. ولتلخيص ما سبق ارتأينا طرح هذا المخطط:

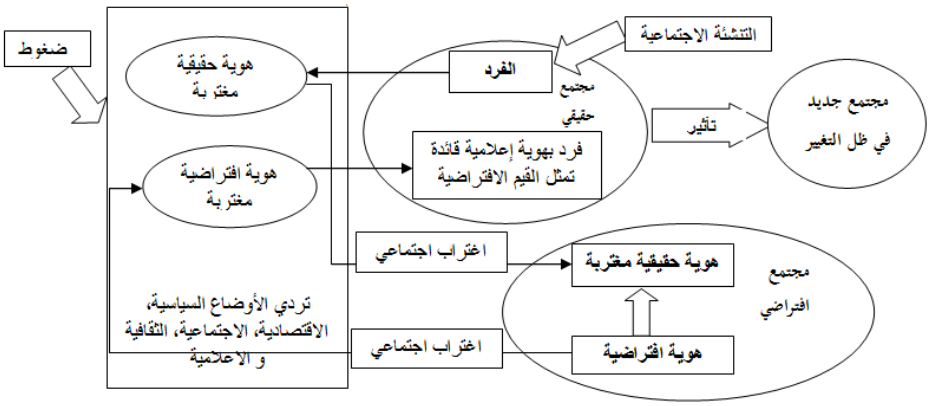

مخطط يوضح أنواع الهويات في ظل الاعلام الجديد

هكذا أصبح لدينا في ظل الاعلام الجديد خمس أنواع من الهويات وهي: الهوية الحقيقية، الهوية الحقيقية المغتربة، الهوية الافتراضية، الهوية الافتراضية المغتربة، الهوية الاعلامية القائدة.

و من تتبع الدراسات السابقة أيضا لاحظنا خاصية التنظيم والتنسيق التي استخدمها المتلقي في الفيس بوك لتمرير مجمل الدعوات للانتفاضة والتعبير عبر تحديد مواقع الاحتجاجات وتوقيتها وهذا يعتبر دليل قاطع على اشتراك المتلقي في عملية التغيير. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل هذا التغيير طوعي أم مسير؟

للإجابة عن هذا السؤال علينا الرجوع أولا إلى الفكرة الجوهرية وهي الهوية الافتراضية والحقيقية. بطبيعة الحال الهوية الحقيقية نتيجة القيم الحقيقية الموجودة في المجتمع من خلال التراكمات الثقافية والتاريخية والدينية وغيرها وما عدا ذلك يعد تنشئة اصطناعية دخيلة، إذن ما المفهوم الصحيح للهوية الافتراضية؟

هي هويةنتجت من خلال التنشئة الاعلامية أي مجموع القيم والثقافات التي فرضتها وسائل الاعلام تحت ظل العولمة المفضية إلى النظام العالمي الجديد. قد يرى المتلقي أنه نزل للشارع وعبر عن سخطه بمحض إرادته وأراد تغيير الانظمة الفاسدة، لكن من بث في هويتك روح الثورة على ما هو موجود؟ إن اغلب الثورات أو عمليات التغيير لا تكون على أنظمة وإنما تكون على ما خرج عن العادة والمعروف في المجتمع وغالبا يكون على المنافي للقيم والعادات والاخلاق أو الموروث الثقافي المكون لقيم الفرد، لذلك فإن الثورات التي نادت بالتغيير لم تكن سوى ثورات ضد ما ينافي الهوية، وهي الافتراضية لانهم هم قادة الرأي الذين جروا إليهم الهويات الحقيقية المغتربة ثم الهويات الحقيقية.

لقد كان ومازال الاعلام يعد صناعة ثقافية حسب النظرية النقدية. فحسب مدرسة فرانكفورت فإن الثقافة وقعت في فخ التسليع وفقدت محتواها الاجتماعي فلم تعد سوى سلعة تروج لأفكار أصحاب وسائل الاعلام وحراس البوابة حتى اضمحلت الثقافات المحلية في قالب واحد هو ثقافة العولمة. ومن هنا يمكن الجزم بأن الهوية ية هي صناعة عن جدارة لأصحاب القرار في وسائل الاعلام وكل ما تحتويه الهوية الافتراضية من قيم تعد مدروسة ومسيرة لخدمة أجندة التغيير والاطاحة بالأنظمة الموجودة وتعويضها بنظام جديد ذو قيم موحدة ودين واحد ونظام اقتصادي واحد.

الخاتمة:

أكدت الدراسات السابقة حقيقة اشتراك المتلقي عبر الفيس بوك في احداث التغيير السياسي أثناء الثورات العربية وذلك من خلال تدعيم الوعي السياسي كنشر الأخبار والمعلومات وآخر التطورات وكل ما يتعلق بفساد الأنظمة، كما أن المتلقي استطاع عقد جلسات افتراضية في شكل أحزاب وتجمعات افتراضية لاستنهاض الهمم والتحريض أحيانا أخرى. لكن ما لا يمكن استبعاده هو دور الهويات الافتراضية في التأثير على الهويات الحقيقة بصفة قادة الراي لإرساء قيم جديدة وهي قيم أرباب رؤوس الأموال في المجال الاعلامي، خاصة وأنهم قد أعدوا العدة للتنشئة الاعلامية من خلال الاعلام الجديد الذي راح الشباب دون وعي يدافعون عما اكتسبوا من قيم في الخيال دون الواقع وهم يرون أنه الواقع لا الخيال.

هكذا يمكن القول ان المتلقي استخدم شبكات التواصل الاجتماعي لتحقيق التغيير بينما هذا الاستخدام كان مخططا له ومسير من قبل ملاك وسائل الاعلام للتخلص من الانظمة والديانات لإرساء نظام عالمي جديد.

مراجع البحث وإحالاته:

1ابن منظور لسان العرب، معجم لغوي علمي قدمه الشيخ عبد الله العلايلي إعداد وتصنيف يوسف خياط، ج3، مادة لقا، دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ.

2Bernard Lamizet et Ahmed Silem, dictionnaire encyclopédique des sciences de l'information et de la communication, Edition Ellipses, Paris, p 472.

3.قراءة النص وجماليات التلقي، بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، تر مجهول، بيروت، ص.14

4. روبرت.س.هولب، نظرية الاستقبال، رؤية نقدية، تر رعد عبد الجليل، دار الحوار اللاذقية، ص144، المذكور في قراءة النص وجماليات التلقي، مرجع سابق، ص.16

5. المرجع نفسه، ص.17

7Rieffel Remy: Sociologie des médias, Ellipes, Paris, 2001,p 119.

8حمدي حسن، مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، دار الفكرالعربي، القاهرة، 1987، ص .72

9ماك براید شون، وآخرون، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغدا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص .408

10بدوي زكي أحمد، معجم مصطلحات الاعلام، دار الكتاب المصري- اللبناني، القاهرة- بيروت، 1985، المادة 85.

11العيفة جمال، الثقافة الجماهيرية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 203، ص .16

12Lazar Judith: La Science de la communication, 2ème édition, Edition Dahlab, Alger, 1993, p 70.3

13 راضي زاهر، "استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي"، مجلةالتربية، ع15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص23.

14 عباس مصطفى صادق، "الاعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة"، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011م، ص9.

15 مزري تش بن، قصة فيس بوك: ثورة وثروة، تر: الهلالي وائل محمود محمد، اصدارات سطور الجديدة، 2011، ص .132

16عبد العزيز طرابزوني، "حقيقية الإعلام الجديد في الربيع العربي ومستقبله".المذكور في http://www.majalla.com/arb/2011/10/article55228614

17ياسين النصير، "ثقافة التغيير"، مجلة الرافدين. المذكور في http://www.alrafidayn.com/index.php

18الشال انشراح، رؤية الشباب الجامعي لدور مواقع التواصل الاجتماعي في ثورة 25 يناير، ورقة بحثية، الرياض، البرنامج العلمي للمنتدى السياسي، 2012، غير منشور.

19نجم عبد العاطي، الرواس أحمد بن محمد، العلاقة بين تعرض الشباب العماني لوسائل الاعلام الجديدة ومستوى المعرفة السياسية دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي الانترنت، مجلة دفاتر السياسة، العدد الرابع، الجزائر، جانفي.2011

20 بن ورقلة نادية، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الرأي السياسي والاجتماعي في النهوض الثوري والجماهيري، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 11، الجزائر، .2013